الشاعر النبطي الكبير محمد عبدالله القاضي

هو شاعر النبط الكبير محمد بن عبدالله القاضي من بني تميم القبلية العربية.. من أكثر شعراء النبط وأغزرهم إنتاجاً وأقواهم معنى.. شهد له الجميع وأشاد به نقاد الشعر النبطي على اعتبار أنه من الظواهر الفريدة بالشعر النبطي القليلة التكرار.

ولد شاعرنا في «عنيزه» بالقصيم سنة 1224هـ وفيها توفي سنة 1285هـ عاش حوالي 61سنة نبغ بالشعر منذ صغره وكان حاوياً للخصال الحميدة فقد كان القاضي رحمه الله كريماً إلى حد يفوق الوصف حتى إنه لما قال قصيدته المشهورة في مدح أهل عنيزة بلدته والتي منها هذه الأبيات:

يـا عـل بـــراقٍ حـقـوق خـيـالـه
مـحـنٍ مـرنٍّ مـرجـحـنٍ وهـطـال
يـسـقـي مـفـالـي ديـرتـن ضـم جـالـه
مـا يـعـجـب الـنـاظـر يـشـوقـه ويـهـتـال
دارٍ لـنـا ووادي الـرمـه هـو شـمـالـه
غـربـيـة الـضـاحـي وشـرقـيـة الجـال
دارٍ لـنـجـد مـشـرّعـه كـم عـنـا لـه
راجـعـي ومـحـتـاج ولا جـي ونـزال

ولما نظم تلك القصيدة قال له أمير «عنيزة» بذلك الوقت «عبدالله بن سليم» بماذا تكون المكافاة أيها القاضي؟

فقال القاضي مكافاتي أن تكون عندي ضيافة كل ضيف ياتي لكم في اليوم الثاني بعدكم مباشرة.. لا يسبقني أحد.

فقال الأمير هي لك وكان القاضي رحمه الله من الوجهاء الأغنياء في بلدته.. ولما بلغ الأربعين من عمره توقف تدريجياً عن نظم الشعر وتوجه إلى أمور الدين ودراسته فنسخ صحيح البخاري كاملاً بخط يده علماً بأنه كان معتدلاً في بداية حياته بالغزل.

وفي أواخر أيام شاعرنا محمد القاضي اعترته الأمراض فانهكته وهدت قواه وبدأ يصارع المرض حتى صرعه المرض فتوفاه الله وكانت آخر قصيدة قالها بحياته قصيدته المشهورة والتي سميت «توبة القاضي» وفيها يتجه إلى الباري عز وجل يطلبه العفو.

حل الفراق

حـل الـفـراق وبـيـح الـوجـد مكنون
قـلـب تـعـايـوا فـيـه شـطـريـن الأطـبـاب
حـيـران قـلـبـي بـالـزنـاجـيـل مسجون
في سجن ابن يعقوب أنحى وهو شاب
وبـي عـلـة ايـوبٍ وغـربـال ذا الـنـون
وبي عبرة المكظوم أناجبت ما جاب
وبـي زفـرة كـل المـلا مـا يـطـيـقـون
معشارها لو هي بصمّ الصفا ذاب
لا شك ما يكتب على العبد بالكون
يـجـري قـضـاه وكـل شـيء لـه أسـبـاب
لي بين حرف العين والصاد مضنون
والـكـاف طـاف بـزيـن تـلـعـات الأرقـاب
غـروٍ شـعـاع الـشـمـس يـوضـي بمقرون
حـجـاجـه قـنـاديـل الحـرم بـيـد شـيّـاب
لحظيه مسلولٍ من الهند مسنون
وحـرابٍ يـطـعـن بـه ويـعـلّـق بـنـشّـابِ
بين شفتيه من أشرف الدر مثمون
حـصٍّ ويـاقـوتٍ بـهـن صـرف الألـبـاب
بـه سـحـر هـاروت ومـاروت مقرون
والـصـرف يـغـذى مـن جـبـيـنه وينجاب
كامل وصوف الزين أنا منه مطعون
بـسـهـم يـسـلّ الـروح بـه سـل دولاب
وبـقـيـت مـشـغـوف هـبـيـلٍ وخـلـون
مـثـل الـطـريـح الـلـي تـدالـتـه الأسـبـاب
يـا عـلـي قـتـل الـروح هـو ذكـر مـسـنـون
تـفـتـون بـانّـيـا مـذهـبٍ حـلّ وكـتـاب
روحٍ تـسـام وسـيّـمـه بـاع مـديـون
يـا مـن يـسـوم الـروح لـلـخـيـر كـسّـاب
فصخت ثوب الستر وابديت مضمون
سـدٍّ فـضـحـه الـنـوح والـدمـع سـكّـاب
يـحـق زعـج الـدمـع دمٍّ لمفتون
قـلـبٍ وعـيـنٍ مـغـريـات بـالأحـبـاب
مـتـحـمّـلٍ لـو قـالـوا الـنـاس مجنون
فـانـا لمـا قـالـوا صـمـيـم وعـتّـاب
مـا لامـن أحـدٍ لـو عـن الحـال يـدرون
ومـن لامـنـي بـمـورّد الخـد يـنـصـاب
تـشـيـلـه ريـاحـيـن مـن الجـانّ يـدوون
بـالـسـبـع سـبـع سـنـين مـا عـنـه نـبّـاب
في حب غطروف برى الحال وادعون
بـري الـقـلـم فـي كـف شـطـرٍ وكـتّـاب
جـانـي مـن اقـرابـي نـصـاحـي يـعـزّون
قـالـوا سـقـا بـالحـال يـاحـيـف منصاب!
عـلام جـسـمـك نـاحـل؟ قـلـت مـطـعـون
قـالـوا بـعـقّ؟ قـلـت بـحـراب الأحـبـاب
قـالـوا مـن انـت بـحـربـتـه؟ قـلـت تـدرون
إنـي كـمـا حـيـران «حـمّـام مـنـجـاب»
عـرّضـتـكـم بـالـلـه لا لـي تـعـذلـون
يـانـاس كـثـر الـقـول والـنـصـح مـا ثـاب
قـالـوا تـحـسّ مـن الـهـوى قـلـت فـاتـون
عـن حـال مـفـتـونٍ بـحـوري الأتـراب
قـالـوا هـبـيـل قـلـت قـالـوا «لمجنون
لـيـلـى» مـثـل هـذا وانـا عـاصـي أب
يـانـاس عـنـكـم شـاطـن الـقـلـب مـشـطـون
انـتـم تـرون الحـال مـنـتـم بـغـيّـاب
انـا بـوادي الـتـيـه وانـتـم تـهـرجـون
بـيـنـي وبـين هـرجـكـم سـتـر وحـجـاب
كـان إنـكـم تـرضـون بـالـلـي تـعـرفـون
محـيـي الـعـظـام الـبـالـيـة رب الأربـاب
والـلـه مـا اسـمـع هـرجـكـم لـو تـلـجّـون
بـالـصـوت يـنـدب مـنـكـم الـشـيـخ والـشـاب
إلا إن سـمـع فـرعـون مـا قـال هـارون
أو يـسـمـع الـمـيـت نـبـا صـوت نـحـاب
اظـن مـن وصـل الـدرك لـه يـعـذرون
كـل الخـلايـق لـو رمـى عـنـه الأسـلاب
وعـقـلٍ غـرّغ بـه واذهـل الـذهـن مرهون
روحـه لـكـنّـه بـين لاوي وجـذّاب
يـاعـلـي حـدّ الـنـفـس مـادونـهـا دون
ولا مـع الحـيـين تـرجـين بـحـسـاب
مـنـي صـلاة عـدّ كـايـن ومـكـيـون
عـلـى الـنـبـي والآل مـنـي والأصـحـاب

محمد العبدالله القاضي